

حالة استثنائية تستغل

لم تنطفئ بعد شرارة الحرب الأوربية التي توقدت في صيف السنة المنصرمة ولا علم لأحد بموعد انطفائها، ومن الطبيعي أن تكون لهذه الحرب - كما كانت لسابقتها - نتائج حالية وأخرى متأخرة تبدو بوادرها في الموقف السياسي والحالة الاجتماعية والاقتصادية لكل دولة قدر لها أن تلج المعركة بنفسها أو أن تكون لها صلة مباشرة بها. ومحط كلامنا حول بعض النتائج الحالية للحرب الحاضرة مما لم تنج منه أية أمة، وتراءى تلك النتائج في ارتفاع الأثمان، وقلة المواد الأولية وعلى الأخص منها المواد الغذائية وانعدام المواد الثانوية. وقد كان للمغرب أيضا نصيب وافر في هذا الصدد بسبب الحصار. فنتج عن ذلك ما يشاهده الجميع في أسواقنا من ارتفاع محسوس في أثمان البضائع ومن خلو بعض المخازن من المواد التي كانت ترد على المغرب من الخارج مما لا أمل في جلبها ما دامت الحرب مستمرة. فحولة واحدة في أطراف إحدى المدن تنبئك بحقيقة الأمر. على أن المغرب يعاني أزمة معنوية ربما انفرد بها. تلك الأزمة هي كساد سوق الفكر. فإذا دفعك حب الاستطلاع إلى دخول إحدى مكاتبنا شاهدت هنا أيضا أفاعيل الحرب إذ لا تجد أحدث المؤلفات الشرقية والمجلات والجرائد التي كانت ترد علينا من مصر وسوريا ولبنان وجميع أنحاء العالم العربي فتزخر بها مكاتبنا، فانقطعت أو كادت تنقطع الصلات التي تربطنا به فأصبحنا نجهل سير الفكر والسياسة في بلاد العروبة ووقف متأدبونا موقف الحيرة بإزاء ذلك إذ كان الأدب الشرقي في غداء معظمهم. لا أشك أننا نعيش اليوم في حالة استثنائية، لا تلبث أن تزول فتعود المياه إلى مجراها الطبيعي، ولكن هل لنا علم بآمد هاته الحالة؟ لقد استطاع المغرب أن يذلل صعوبات حمة ويحلل مشكلات وعرة أثارها الحرب الحاضرة؛ وأهم المشكلات مسألة التموين،

وبذلك أمن المجاعة التي أصبحت بعض الأمم قاب قوسين أو أدنى منها، فلم يرتفع ثمن القمح - الذي هو أساس حياة المغربي - ارتفاعا باهضا كما هو الشأن في كثير من الأصقاع وأمكن وجود اللحوم على اختلاف أنواعها مما يضمن حياة السكان أمدا طويلا، وقد سارع بعض الأفراد وكثير من المؤسسات لتلافي الحالة الراهنة استعاضة المواد المجلوبة ببعض المواد الوطنية الصرفة، ومما لا شك فيه أن المغرب سيأمن نتائج الحرب الحالية بفضل خيرات ترابه وابتكار هيئاته فيستطيع ملافاة هذه الحالة الاستثنائية مهما طالت.

هو ذا جانب من الأزمة العالمية قد وجد له حل في المغرب، وهو الجانب المادي، ترى هل هو كل ما يعنيننا؟ بقى أن نفكر في الجانب المعنوي لتلك الأزمة وهو كساد سوق الفكر في المغرب.

يروعك أن ترى مستودعات الكتب والجرائد الدورية شبيهة بهياكل عظيمة لا كتب ولا مجلات تكسوها عدا بعض الجرائد التي عفى عليها الدهر فأصبحت تسد تلك الثلمة الكبرى، وهيئات أن تسدها، يأخذك العجب حين لا ترى أية بادرة من جانب مثقفينا لسد الفراغ الذي أحدثته الأزمة العالمية الراهنة، فأين هي المجلات والجرائد التي نابت عن الصحف الشرقية وأين هي الكتب المغربية التي أصبحت تحتل مكاتبنا وتغذي الأذهان التي يكتمل نضجها، وأين هو الإنتاج الأدبي المغربي الصرف الذي كان قد اختفى ردها من الدهر تحت مفعول الإنتاج الشرقي، كل هذا لا وجود له.

إني لأقشعر - وحق لكل أديب أن يقشعر - متى فكرت في هذه المسألة العويصة، حينذاك أسائل نفسي هل ستدوم الحال على ما عليه الآن، وهل يرضى المثقفون المغاربة على حالهم من الجمود، وما سيكون مستقبل الفكر في المغرب إن ظلت الحال هكذا. إن أخوف ما أتخوفه أن تدرج من سبات إلى استكانة إلى موت، وهنا يستحيل الانبعاث مرة أخرى ...

فهل لثقفينا أن يقاوموا مجاعة الفكر كما تقاوم الهيئات الأخرى مجاعة البطن؟